ليلى

ذهبت ليلى (20 سنة) الى المختص النفسي بسبب الصعوبات الكبيرة التي تواجهها منذ بضعة أسابيع في حياتها اليومية؛ فهي غير قادرة على دخول محل كبير بمفردها لشراء حاجياتها حيث تشعر فورًا برغبة في الهروب إذا لم تكن مرافَقَة. كانت تودّ التحدث مع شخص ما، ويفضَّل أن تكون امرأة، لكنها قبلت رغم ذلك مقابلة أحد الأخصائيين النفسيين.

تصل ليلى إلى الموعد قبل وقته بكثير، مرتديةً ومتزينة بعناية كبيرة. تقول إنها تعاني من اكتئاب شديد منذ الوفاة المفاجئة لطفلها الثاني، الذي توفي وهو في عمر ثمانية أشهر قبل ثلاث سنوات. كان قد أُدخل إلى المستشفى لإجراء عملية بسيطة نصحها بها أحد الأصدقاء، لكنه لم يستفق بعد العملية. تشعر ليلى بالذنب كثيرًا لأنها كانت مترددة بين إجراء العملية وبين السفر إلى بلدها مسقط رأسها، حيث كان من المقرر أن تلتقي بعائلتها بعد فراق دام خمس سنوات. كان والداها، اللذان يعيشان في قرية صغيرة ومعزولة، قد وافقا على رؤيتها مجددًا بعد أن «تخلّيا عنها» عندما كانت قد غادرت لعدة أسابيع مع مجموعة من العاملين الأجانب. وكانت قد أقامت خلال تلك الفترة علاقة مع أحد الفنيين، الذي ساعدها على دخول فرنسا دون أوراق إقامة، ثم انقطعت أخباره عنها بعد فترة قصيرة.

عانت ليلى كثيرا خلال تلك الفترة حيث تمكنت من العيش لبضعة أشهر بوسائل محدودة قبل أن تولد شيماء، الطفلة الناتجة عن تلك العلاقة.

بعد ولادة هذه الطفلة، تعرّفت ليلى على رجل فرنسي و كللت العلاقة بطفلها الثاني. حصلت على عمل كعاملة صندوق في سلسلة للمطاعم ، وكانت تحب هذا النوع من التواصل مع الزبائن، وكانت ناجحة فيه جدًا. كانت مبتسمة ولطيفة دائمًا، رغم كثرة شكاوى الزبائن من بطء الخدمة أو قلة تنوع الوجبات أو ارتفاع أسعارها. وكانت تقول إنها «حدسية»، قادرة على معرفة ردّة فعل الزبون تجاهها من النظرة الأولى. وقدرها كثيرون بسبب لطفها واهتمامها وأناقتها، التي كانت تميّزها عن جو الكآبة السائد في تلك المطعم. وقد أدى ذلك إلى إثارة غيرة كبيرة لدى زميلاتها، خصوصًا بسبب تصرّفات الزبائن غير المتوقعة: ففي كل وجبة، كما تقول، كانت دائمًا هي التي «لديها أطول طابور ينتظر عند الصندوق»، مما كان يثير ردود فعل عدائية مفتوحة من بقية العاملات ، اللواتي كنّ أكبر سنًا منها بكثير.

بدأت اضطراباتها منذ ذلك الوقت، قبل أربع سنوات. وكانت ناتجة عن الوضعية الخاصة لشاشة حاسوبها بالنسبة للنافذة المقابلة لها. من الناحية التقنية، كان عليها أولًا أن تنظر إلى الزبون لتحيته، ثم إلى صينيته، وأن تدقّق على لوحة المفاتيح أنواع الأطباق التي أختارها ثم تتحقق على الشاشة، وتعلن المبلغ الإجمالي

للزبون. بين اللحظة التي ترفع فيها عينيها عن الشاشة واللحظة التي تلتقي فيها بنظرة الزبون، كان هناك انعكاس في الزجاج المقابل يسبب لها وهجًا متكررًا. وقد أدى ذلك إلى إصابتها بأرق وغثيان شديدين لدرجة أنها اضطرت إلى ترك عملها.

كان والد شريك حياتها قد قدّم لها دعمًا كبيرًا خلال تلك الفترة، التي تميزت بالنسبة لها بصعوبات جسدية متعددة وغير مفهومة. فقد أصيبت خصوصًا باضطراب بصري مستمر كان يقلّص كثيرًا مجال رؤيتها. في تلك اللحظة، اتخذت قرارًا بإجراء العملية لأبنها مع ما ترتّب على ذلك من عواقب مأساوية.

لقد أثّر فيها بشدة وفاة طفلها، وقررت أن تتماسك وألا تُظهر ذلك لأحد. لكنها عانت من هلاوس لعدة أشهر، خصوصًا في ساعات الصباح الأولى عند الاستيقاظ ، حيث كانت تراه واقفًا قرب سريرها. دون أن تخبر أحدًا، استمرت في حياة تبدو طبيعية. وقد شعر عدد من معارفها، الذين رأوها وهي تتنزه بابنتها في الحديقة العامة، باضطراب شديد بسبب برودها الكبير وانفصالها عمّا حولها.

اللحظة الوحيدة التي كانت تشعر فيها بالتهديد الحقيقي هي عندما كانت تسمع أصواتًا تتهمها بأنها قتلت ابنها لأنه كان ابنًا لأوروبي. كانت عندها تنعزل ومعها بعض الأشياء التي احتفظت بها منذ طفولتها، وخاصةً وعاءً صغيرًا من المعدن المفضّض كانت أمها قد علّمتها كيف يمكن أن ترى فيه انعكاسًا مشوّهًا بتغيير زاوية النظر. ثم توقفت الهلوسات. وبعد ذلك عادت مشكلة الأرق، وكذلك عجزها عن البقاء وحدها داخل متجر كبير.

نصحتها إحدى صديقاتها باستشارة طبيب مختص ليصف لها مهدئات. كانت تخشى أن تصاب بالجنون

خلال المقابلة الأولى، بدأت ليلى في اتباع مسارين متوازيين: فهي تذهب بانتظام إلى المواعيد الأسبوعية التي كان يقترحها عليها الأخصائي النفسي الذي استقبلها، وفي الوقت نفسه تستشير بانتظام، شبه أسبوعيًا أيضًا، طبيبةً في الأمراض النفسية و العقلية في نفس المركز، تطلب منها مهدئات. وكانت تشكو لهذه الطبيبة باستمرار من «قسوة» نظرات الأخصائي النفسي «التي تذكّرها بوالدها». وتقول إنها لم تعد ترغب في رؤيته، لكنها لا تجرؤ على مصارحته بذلك. وتضيف أنها لا تستطيع النظر إليه مباشرة، ولا حتى التحدث معه. وخلال أحد الجلسات، أصيبت بنوبة سعال شديدة فور دخولها، مما اضطرها إلى مغادرة الموعد على الفور.

وبعد أن تم توقيفها في أحد المتاجر أثناء سرقتها لمواد تجميل، كشفت عملية تفتيش للشرطة في منزلها عن مجموعة هائلة من أحمر الشفاه والماسكارا وطلاء الأظافر غير المستعملة، تؤكد أنها لم تكن مخصَّصة

لإعادة البيع بطريقة غير قانونية. وخلال هذه التحقيقات، أقامت علاقة مع المفتش المسؤول عن استجوابها، لكنها تشكو للأخصائي النفسي من قلّة التفهم والعاطفة التي يبديها هذا الرجل نحوها. وهي تتساءل حول إمكانية الاحتفاظ بالطفل الذي تنتظره منه، والذي لا يريده هو.

الأسئلة

بعد دراستك المعمقة و الهادئة لهذه الحالة ، حاول ان تجيب على الأسئلة التالية:

-ما هي اهم المشكلات التي تعاني منها الحالة؟

-ماهي الأهداف العلاجية التي تقترحها؟

-ماهي الفرضيات التفسيرية لهذه الحالة؟

- اقترح استراتيجية علاجية مناسبة وتقنياتها ؟